

دراسة مقارنة لفتوى للمفتي الأعظم رحمه الله تعالى^(١)

حامدًا ومصليًا ومسلمًا

هناك طريقتان أكثر تأثيرًا ووثاقةً لمعرفة الفضل والنبوغ العلمي لشخص، الأول منهما أن يسمع حوارَه، وأن تُقدَّر سعة نظره واستحضاره وعمق معرفته بالتكلم معه على موضوعات مختلفة، والثاني منهما أن تُعيَّن رتبته العلمية بنفثات قلمه من الكتب والمقالات على الموضوعات المختلفة لو وجدت، وهذا الطريق الثاني يُستخدم للأسلاف ويُعتبر موثوقًا، ولا يطمئن المحقق بالتعريف الإجمالي للنبوغ والفضل من السماع عن الآخر خاصة إذا لم يكن علم المعرفين وبراعتهم ووثافتهم وتقواهم قوية عنده فيصعب له الاعتماد عليهم.

ما وجدنا مجلسًا من المجالس العلمية للمفتي الأعظم أو وجدنا قليلًا جدًا، لذا كتبه ونفثات قلمه يمكن أن تكون بمثابة منارة لنا، بحمد الله تعالى لما نطالعها ننظر في ذات المفتي الأعظم كثيرًا من المحاسن مجتمعة مثل الحكمة والتدبير وعرفان أوضاع الزمان وحسن التفهيم وحسن الإنشاء والبلاغة والعربية والعقائد والكلام والتفسير والحديث لا الفقه والفتوى فقط، فالآن أذكر شواهد لتفصيل هذا الإجمال والتصديق لهذه الدعوى ليعرف عامة القارئ شيئًا من عظمة المفتي الأعظم.

إن الإفتاء ليس أمرًا جديدًا، بل استمر هذا العمل على قدم المساواة في عهد المفتي الأعظم، وقبل هذا العصر وبعده، ولا يزال يستمر حتى اليوم، لكن عندما يتم

(١) كتب أستاذي الشيخ محمد أحمد المصباحي هذه المقالة باللغة الأردنية، ونشرت تلك المقالة في الكتاب المسمى بـ "أنوار مفتي أعظم" تحت عناية "رضا أكاديمي" بـ "مومبائي" سنة ١٤١٣هـ، المصادفة سنة ١٩٩٢م، فيما بين الحدي والثلاثين ومأتين والسابع والأربعين ومأتين من الصفحات. والآن نقلتها إلى العربية، ١٢. محمد مقبول المصباحي.

إجراء دراسة مقارنة للفتاوى ومحاولة النظر عن كثب إلى التمييز الخاص لكل مفتٍ،
 فيبرز جوهر كل واحد منهم، وتوضح مزية من هو ممتاز من بينهم.
 بحسن المصادفة وجدتُ سؤالاً أجابه مع المفتي الأعظم عدة أرباب الفتوى
 من معاصريه، فالفرق الذي شعرتُ به في تلك الأجوبة إن أنجح في توضيح ذلك فإن
 كمال إفتاء المفتي الأعظم سيكون واضحاً إلى حد ما.
 والمنظر الخلفي لتلك الفتاوى أن منظوماً على عنوان ”ناه خلافت“ (عويل
 الخلافة) لمستر ظفر بى اے، نُشر مراراً خلال حركة الخلافة، ثم طبع مرة أخرى ذلك
 المنظوم بعنوان ”فیصلہ کفر و اسلام“ (الحکم بین الکفر و الإسلام) في ”جريدة زمين دار“
 (الجريدة المسماة بإقطاعي) في السابع من يونيو سنة ألف وتسع مائة وخمس وعشرين
 من الميلاد، فاستفتى خليفة الشيخ الكبير الإمام أحمد رضا قدس سره وتلميذه الشيخ
 السيد أحمد أبو البركات القادري الرضوي قدس سره (المولود ۱۳۱۲ هـ، والمتوفى
 ۱۳۹۸ هـ) من المفتين على ثلاثة أبيات لذلك النظم، ونشر أجوبتهم (وأنه أرسل إلى
 بعض المفتين بيتين كانا قبل هذه الأبيات) والأبيات ما يلي:

الأبيات الأردية:

یہ سچ ہے کہ اس پہ خدا کا چلانہیں قابو
 مگر ہم اس بت کافر کو رام کر لیں گے
 بجائے کعبہ خدا آج کل ہے لندن میں
 وہیں پہنچ کے ہم اس سے کلام کر لیں گے
 جو مولوی نہ ملے گا تو مالوی ہی سہی
 خدا خدا نہ سہی رام رام کر لیں گے

ترجمة الأبيات:

صحيح أن الله ليس له سيطرة عليه
 ولكننا سوف نروض ذلك الصنم الكافر

فبدلاً من الكعبة الله موجود في لندن اليوم
 سنتحدث معه عندما نصل إلى هناك
 إذا لم يتم العثور على المولوي فحسبنا المالوي
 ونقول "رام" "رام" بدلاً أن نقول الله الله

كل شخص لديه إيمان يتنفر ويشمئز من سماع هذه الأبيات فقط، ويقول إنها ليست نتاج فكر إيماني، وإن الشاعر قد خرج من حريم الإسلام، لكن لما يُستفتى عن مفتٍ، فلا يمكن له أن يفتي إحالة على ذوقه فقط، بل عليه أن يفتي واضحاً ومفصلاً مع الدلائل والأسباب بعد انتقاد تلك الأبيات على مقياس العقل والاستدلال وبعد تدقيق كل بيت على الأصول الشرعية.

والآن هيا بنا نرى ما أجاب المفتون:

(١) فهذا ما كتبه الشيخ محمد ريجان حسين المجددي المفتي للمدرسة إرشاد العلوم بـ "رام فور" بعد رؤية هذه الأبيات وبيتين قبلها:
 في الصورة المسؤولة المصراع الأول من البيت الثالث والبيت الرابع والمصراع الأخير من البيت الخامس كل ذلك صريح في لزوم الكفر لأن القائل يصرح عجز الله سبحانه وتعالى في المصراع الأول من البيت الثالث، وهل هذا إلا كفر صريح.

وعلى سبيل الافتراض لو حُمل البيت الرابع على التعريض فالتعريضات التي يبدو منها تنقيص جلال الرب عز وجلّ وتحالف تنزيهه وتقديسه كفر قطعي، كأن الله تعالى ليس إلهاً بل هو آلة التمسخر والتعريضات لهؤلاء الشعراء الهاذين، الشعراء الذين نزلت فيهم هذه الآية " وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " (سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤) حيث إنهم عبروا الله سبحانه وتعالى عن "أكفر" أحياناً، وأحياناً عن "مشرِك"، "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ" (سورة الكهف، الآية: ٥) أين "رام" و"لجهمن" رجالان معبودان باطلان لأصحاب الهنود يعتقدونهما إلهين، (نعوذ بالله) من الحق سبحانه وتعالى وحده لا شريك له الذي هو معبود حقيقي.

والآيات الثلاثة التي ذكرت في الختام، فيها عدة ألفاظ متصفة بكفر صريح، والشرع يحكم بالكفر على ما يدل عليه قول القائل بوضوح، ”ولو لم يقصد القائل الكفر.“

هذا كل كلامه في ما كتب حكماً للآيات السابقة في هذه الفتوى، ولم يكتب على القائل حكماً واضحاً، نعم بعد انضمام التمهيد البدائي بالعبارات اللاحقة يتعين أنه لا يكون سوى التكفير لقائل هذه الآيات عند صاحب الفتوى، وذكر كلاماً سبباً للكفر أن القائل صرح عجز الله سبحانه وتعالى في المصراع الأول مع ذلك قال المفتي إنه صريح في لزوم الكفر، وكتب مبهمًا أن بعض الألفاظ للآيات الثلاثة كفر صريح، مع أن القارئ يشعر بعطش شديد إلى البحث والاكتشاف لوضوح هذه الكلمات وشرح سبب الكفر.

(٢) انظر فتوى ثانية لعالم شهير في باكستان الشيخ عبد الكريم ”دَرْس“ المفتي في ”كراتشي“، كان أرسل إليه ما ذكر من الآيات الثلاثة وبيتين من قبلها، إنه يكتب: إن الآيات الثلاثة السافلة توازي الكفر وتحتوي الارتداد ليس فيها لفظ يكون معناه الحقيقي مهجورًا أو متعذرًا أي متروكًا حيث يؤول فيه، وقد ارتفعت الشبهة بجملته ”یہ سچ ہے“ (صحيح) للبيت الثالث، وقد تم التحقيق والتأكيد لعدم سيطرة الخالق على خلقه وتم الإنكار الواضح عن الآية ” وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ“ (سورة الهود، الآية: ٤) وهو كفر صريح، نعوذ بالله من سوء ذلك الاعتقاد. وأثبت الشاعر أنه نَدَّ اللهُ سبحانه وتعالى للبيت الثالث، أترب الله تعالى في فم قائله.

وإثبات لندن المكان والمقام لذات لا مكان له، وإثبات خلو الموجود الحقيقي من الكعبة في المصراع الأول للبيت الرابع ليس إلا كفرًا. ويؤيِّده المصراع الثاني أي ”وہیں پہنچ کر ہم اس سے کلام کر لیں گے“ (ستحدثت معه عندما نصل إلى هنا) وب”کلام کر لیں گے“ (ستحدثت) عدّ نفسه كليم الله، كل ذلك سفسطة وإلحاد.

وفي البيت الخامس إنكار عن الآية ”وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْلَىٰ وَالْبَصِيرَ“ (سورة الفاطر، الآية: ١٩) أن المولوي والمالوي أي المؤمن والكافر أو العارف والجاهل سويان عند مُسْتَرِ ظفر، لا يمكن لمالوي (كافر) أن يساوي مسلماً فاسقاً فضلاً أن يساوي مولوياً (عالماً) قائل هذه الأبيات كافر ومرتد، إلا أن يرجع ويتوب.

ذكرت أسباب الكفر واضحاً في هذه الفتوى، وهي ما يلي:

(١) قول عدم سيطرة الخالق على الخلق.

(٢) وعدّ نفسه مساوياً ومقابلاً لذات الله سبحانه وتعالى.

(٣) وإثبات المكان لذات لا مكان له.

(٤) وادّعاء أنه كليم الله.

(٥) وعدّ المؤمن والكافر مساويين بدون التفريق بينها.

وفي الختام ذكر حكم القائل، فهذه الفتوى أصح وأوضح من الفتوى الأولى، نعم يمكن هناك أن يشتكى لاستخدام ألفاظ عربية بكثرة، وذلك على ما أظن أن المستفتي أيضاً عالم محكم، على كل حال هذه الفتوى واضحة جامعة تفوق بدرجات من الفتوى الأولى.

(٣) انظر الفتوى الثالثة للشيخ محمد إبراهيم القادري الأستاذ لدار العلوم

شمس العلوم بـ”بدايون“، إنه يكتب:

”قال الفقهاء إن الذي يصف الله عزّ وجلّ بصفات لا تليق به أو يقول فيه تعالى إنه جاهل أو عاجز، أو يتمسخر باسمه، ويختار مثل تلك الأقوال متعمداً (بدون تعريض ونقل) ولو لم يعدها القائل كفراً ولم يعتقدّها، يكون كافراً بمثل تلك الأقوال“، ثم نقل عبارات تؤيد ما ذكر، ويكتب:

”من يقول نثراً أو نظماً أن الله ليس له سيطرة على ذلك الصنم الكافر ولكنني أروضه أو يتفوه أنه يقول ”رام“ ”رام“ بدلاً أن يقول الله الله اتباعاً لفلان الكافر، هذه الكلمات صريحة في الكفر، حيث ليس فيها سعة للتأويل، ولو لم يعتقد القائل مثل ذلك“.

ذكر المفتي في تمهيد هذه الفتوى عدة أسباب الكفر، ثم ذكر حكم قائلها، ونقل لتأييده نصوص كتب الفقهاء، وفي الختام كتب وجهين لكفر الشعر، الأول وصف الله بأنه عاجز، ووصف نفسه بأنه قادر، والثاني أخذ قول "رام" "رام" بدل قول الله الله متبعًا لكافر، وقال لكل ذلك كلمات كفرية، وترك حال القائل الخاص على الأغلب لفهم الناظر بضوء تمهيد الفتوى.

على كل حال إنه ذكر واضحًا وجهين فيما ذكر، وأظهر حكم القائل أيضًا إلى حد ما، ولم يصرح بلفظه فهذه الفتوى أوضح من الأولى وأنقص من الثانية.

(٤) والفتوى الرابعة للمؤيد والفادي الصادق للشيخ الإمام أحمد رضا مخدومنا السيد أولاد رسول محمد مياں القادري البركاتي صاحب سجادة الزاوية البركاتية رحمه الله تعالى ورحمنا به، تمهيداً واضح وغير مبهم، كل ما كتبه يتجلى فيه مراعاة الدين والإيمان والحقيقة والحقانية بدون مراعاة يسيرة لمدير التحرير لجريدة شهيرة، مثل ما كان دأباً بارزاً لهذه الأسرة العالية في كل زمان، وهو مستمرٌ اليوم أيضًا بفضل الله تعالى، إنه يكتب:

"إن البيت الثالث كفر خالص قطعاً، وُصف الله تعالى فيه بألفاظ واضحة بأنه عاجز، والعاجز أيضًا بحيث لم يجر شيء من مقدرة الله تعالى على الصنم الكافر الذي يقدر عليه الشاعر نفسه، كما قال الشاعر نفسه، فنسبة العجز إلى الله تعالى والنسبة أيضًا مثل هذه النسبة كفر خالص إجماعي قطعي".

ثم نقل العبارات المؤيدات، وقال:

"هذا الشعر في معناه الكفري واضح جدًا غير قابل للتأويل والتوجيه، أي لا سعة فيه لتأويل يمكن له أن يخرج من الكفر، ولا يصح إدعاء التأويل في مثل ذلك الكفر الصريح".

ثم نقل عبارات الشفا ونسيم الرياض وكتب:

كان يكفي لخسران هذا الشاعر ذلك شعره الملعون، مع ذلك ثرثر بعده المزيد من الكفر، وأظهر في المصراع الأول للبيت الرابع شرك اتخاذ المشرك هاديه وقائه

وزعيمه ومرشده مع حجاب لاغ لتعليق موهوم، ثم قال في المصراع الثاني واضحاً
 ”نقول ”رام“ ”رام“ بدلاً أن نقول الله الله“.

وعلى هذا الشرك رد كامل في رسائل علماء أهل السنة، لكني أقول ههنا إن في
 هذا المصراع الثاني اعتبار كلمة الإسلام الله الله مساوية لكلمة كفرية ”رام“ ”رام“،
 وترك هذه الكلمة الإسلامية واختيار تلك الكلمة الكفرية الملعوننة أي ”رام“ ”رام“
 كلاهما كفران.

اعتبار الكفر والإسلام مساويين كفر بديهي، ومعنى ”رام“ ممتزج ومختلط، لذا
 يقول المشركون الإله ”رام“ لأنه في زعمهم موجود في كل شيء وخلاء، واعتبار الله
 مختلطاً في شيء كفر، (ثم نقل عبارات إعلام ابن حجر والشفاء).

وقال: يكفر أحد في تلك الساعة أو يريد في الاستقبال على كل حال يكون
 كافراً في الوقت، (ثم نقل عبارات الهندية عن الخلاصة).

حُكِمَ على الشاعر واضحاً في هذه الفتوى، وذُكرت وجوه الكفر أيضاً واضحة
 محققة، وألفاظها أيضاً فصيحة، وأكثرها سهلة ومحكمة وواضحة وغير مبهمة.

انظروا فيما يأتي من وجوه الكفر كيف أثبتتها بأسلوب رائع:

(١) نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى بل اعتقاده عاجزاً ومدّه إلى حد يلوح
 أن الشاعر قادر، ولكنه عزّ وجلّ عاجز.

(٢) اتخاذ المشرك هادياً وقائداً له، أحال المفتي تفصيله لرسائل علماء أهل

السنة.

(٣) اعتبار كلمة الإسلام مساوية لكلمة الكفر.

(٤) ترك كلمة الإسلام وأخذ كلمة الكفر.

(٥) اعتقاد أنه تعالى مختلط بشيء.

تظهر هذه الوجوه الخمسة في هذه الفتوى، كما استنبطها الكاتب.

وقد علمنا خمسة وجوه من فتوى الشيخ عبد الكريم درس رحمه الله تعالى أيضًا، فالوجه الأول ما هو مذكور في كل فتوى، وما سواه من الوجوه الأربعة مختلفة، وهي ما يلي:

(٢) عدّ نفسه مساويًا ومقابلًا لذات الله سبحانه وتعالى.

(٣) اعتقاد المكان لذات لا مكان لها.

(٤) إدعاء أنه كليم الله.

(٥) عدّ المؤمن والكافر مساويين.

وإن لم تُكتب هذه الوجوه واضحة مع أسلوب التحقيق والبيان للشيخ السيد أولاد رسول محمد مياں البركاتي رحمه الله تعالى، ولكنها يمكن أن يستنبط من كلامه بسهل، مع ذلك عدد الوجوه مساوي، وإن حسن اللغة والبيان لفتوى مارهره وميزة الصراحة، والشجاعة في التعبير عن الحقيقة، وتحقيق بعض الألفاظ مع فهم الشعر وتفهمه، وحسن تأييد كتب العلماء على وجوه الكفر، كل ذلك واضح في مكانه.

(٥) والآن تعالوا ننظر فتوى المفتي الأعظم الشيخ مصطفى رضا قدس سره ابن الشيخ الكبير الإمام أحمد رضا قدس سره، إنه فتح عينيه في بيت الفتوى، وقضى عصر طلب العلم في حل دقائق الفقه والكلام، وما اكتمل هذا العهد حتى بدأ الإفتاء، ونال إذن الإفتاء والخاتم من الأب الجليل. خاصة لمقارنة الفتوى قد ذكرت أربع فتاوى سابقة مع مراعاة الإكرام الكامل، إن مهمة الدراسة المقارنة معقدة إلى حد يصبح من الواجب إمعان النظر في كثير من نفاثات القلم العظيمة القيمة في أماكنها وتحديد مكانة ومقام لكل واحدة منها، ولكننا إن شاء الله المولى الرؤوف الرحيم لن نترك لدقيقة أذيال الحرمات لأسلافنا رحمهم الله تعالى، وهو الموفق وخير معين.

على هذه الفتوى توقيعات التصديقات للعظماء من علمائنا من بينهم هؤلاء

الذين تلي أسماءهم، وهم جديرون بالذكر بشكل خاص:

(١) صدر الشريعة أبو العلاء الشيخ محمد أجد علي الأعظمي.

(٢) صدر الأفاضل الشيخ محمد نعيم الدين المرادآبادي.

(٣) أسد أهل السنة الشيخ حشمت علي خان القادري اللكناوي.

(٤) سهيل الهند الشيخ السيد غلام قطب الدين السهسواني.

(٥) الشيخ المفتي محمد غلام جان القادري.

(٦) الشيخ معوان حسين الأحدي المجددي.

(٧) الشيخ محمد إسماعيل المحمودآبادي.

(٨) الشيخ حسنين رضا القادري البريلوي.

(٩) الشيخ محمد مختار الصديقي الميرتي.

(١٠) الشيخ تقدر علي الرضوي البريلوي، عليهم الرحمة.

كُتِبَ بصفة المستفتي اسم الشيخ محمد الدين باع الثياب ونائب ناظر حزب الأحناف بـ"لاهور"، وسئل عن ثلاثة أبيات مذكورة في صدر المقالة، لأنها فقط تتعلق بالكفریات. وهذه هي الصورة للسؤال:

هل هذه الأبيات صحيحة عند الشرع أم مخالفة للشرع؟ فما هو حكم الشاعر في الصورة الثانية؟ يقول علماء بلادنا إن معنى هذه الأبيات كفر وإلحاد، ويجب على قائلها تجديد الإسلام والنكاح، ويجب نشر ورقة التوبة مثل نشر تلك الأبيات، وبعض الشعراء يزعمون أن مفهوم هذه الأبيات ليس بكفر، فأطلب الشيخ أن يفكر في مفاهيم الأبيات التالية، ويحكم عليها، ويزين الحكم الشرعي بأدلة الفقهاء والخواتم، ويرسل إلى هذا العنوان التالي بسرعة ما في وسعك.

الجواب المختص لهذه الأبيات مشتمل على سبع صفحات، وفي خلاله رد على ضجيج عامة الناس مخالفاً لعلماء الدين، وعلى أصحاب الضوء الجديد والحضارة الجديدة من محبي التجدد الغير المشروع وعلى إضلال الفرقة النيشرية وإغوائها وكيدها وافترائها. إنما الفتوى بسيطة جدا لذا أذكرهنا بتلخيص منها وتحليل هام بصورة الدراسة المقارنة.

يكتب المفتي الأعظم مستخدماً عدة أمثال في البداية:

يا عزيز تسأل عن هذه الآيات أنها صحيحة أو مخالفة للشرع؟ يا أخي في الإسلام اسئل عن كمية كفرها وشناعتها، لا شائبة فيها للإيمان. وما هو حكم من يشك في كفرها وكفر قائلها وقابلها، بل الحق أنه لا ينبغي أن يسأل عن كل ذلك لأن كل مسلم يعلم أنها كفر قطعاً وحتماً. فالعياذ بالله.

إن قائل هذه الآيات وقابلها كافرين، من وجد ذرة شك في كفرهما واستحقاق عذابهما فهو مثلهما.

فيتضح حكم كل من القول والقائل ومؤيدهما وموافقهما بهذه الألفاظ في أول وهلة، والتفصيل وذكر الدلائل يأتي بعده، هذا هو أسلوب الإفتاء الذي يوجد في فتاوى الإمام أحمد رضا بالعموم، والولد سر لأبيه.

يظهر بأسلوب هذه العبارات أن الجرة والتمرد وسوء الأدب وسوء الكلام في حضرة الله تعالى المنزهة المقدسة شنيع وقبيح جداً. وبعد ارتكابه لا يستحق مجد الإنسان الشخصي وكرامته وسمعته أي اعتبار في المحكمة العليا للشريعة المطهرة ومحكمة العلماء الربانيين ذات حق، كما في المحكمات الدنيوية مجرم حقيقي قتل نفساً ظلماً، أو في حكومة ملكية من اتهم وافترى على الملك الطيب والصالح، أو جريء سبّ قدرًا، أو قاتل قتل مثل ذلك الملك لا يستحق الرحم والعطف عند فرد من الحكومة بل يتصور كل فرد قتله عدلاً وصبغ الأرض بدمه حقاً. ومثل ذلك يحكم على الذين يضعون طوق تنزيه الرب عز وجل وتقديسه وطاعته ووفائه على رقابهم، ثم أخذوا يقولون شنيعة لذاته الطيبة والرفيعة، ويخالفون علانية ضوابطه القوية العامة، ويهيجون الثورة ضدها، ويعيشون تحت حكومة الله تعالى، وينقضون عهده. إن ذلك ليس بظلم واعتداء.

ولعل أصحاب الضوء الجديد من محبي التجدد لا ينظرون وضع شاتمي الله ورسوله عز وجل صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقتهم المجرمة في ضوء الشمس أيضاً، أو قد حرموا من الضوء الصائب للعقول، لذا يعتبرون مثل القرارات المذكورة الدنيوية حقاً وعدلاً، ولكنهم يعدّون الطعن على قرارات شرعية لأشد جريمة منه من

حسن أذهانهم وعقولهم ومن فن ألسنتهم، مع أنه ظلم خالص وفساد عقل ولسان، منحهم الله تعالى عقلاً صائباً، وأراهم الحق حقاً والباطل باطلاً، ووقفهم لأن يروا الحق حقاً والظلم ظلماً.

والآن تعالوا ننظر ماذا كتب لتفصيل العبارات البدائية وأدلتها للفتوى وما قدم لها من الحجج؟

عبارات السطور البدائية مشتملة على عدة أمور:

(١) حكم القول (٢) حكم القائل (٣) حكم قابل ذاك القول (٤) حكم الشاك في حكم الكفر للقائل والقابل، ولذا لا يخلو عنها التفصيل والأدلة أيضاً، ومما يميز هذه الفتوى عن غيرها من الفتاوى أنها لا تشتمل على حكم القول والقائل فحسب، بل تحوي الأمور الأربعة المذكورة كلها، انظروا أنه يكتب:

إن المصراعين للبيت الأول كفران خالصان:

(١) صرح القائل واضحاً في المصراع الأول بأنه ليس لله سيطرة على ذاك

الصنم.

(١) ذاك إهانة لله عز وجل ورد وإنكار لقدرته العظيمة والكمال ورد للآية الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة، الآية: ٢٠) أي هناك شيء لا يقدر عليه الله سبحانه وتعالى، وليس له سيطرة عليه، وهو عاجز عنه.

(ب) وذاك نفي الألوهية أصلاً، لأن العاجز لا يمكن أن يكون إلهاً، فنفي قائل المصراع الخبيث اللعين الألوهية حقيقةً وأبطلها، وهو ومن يقبله كلاهما صاراً كافرين عند كل مسلم، ومن لا يسلم مثل ذاك القائل والقابل كافراً أو يشك في كفرهما فهو أيضاً كافر، لأن الأول لم يعتبر الكفر كافراً. وإن لم يكن نفي الألوهية كافراً فأى شيء يكون كافراً؟ لا بد أن يعتبر الإيمان إيماناً والكفر كافراً، فمن لم يعتبر الكفر كافراً فكيف يعتبر الإيمان إيماناً، لأن الأشياء تعرف بأضدادها، وكيف يعرف الأعمى قدر النور. والثاني شك في كفر الأول، يجب تصديق الكفر بأنه كفر، فلا يمكن للإيمان والشك أن يجتمعا في مكان لأن التصديق هو الإيمان وهو لا يمكن عند الشك.

(٢) وأظهر في المصراع الثاني واضحاً نفسه ذات القدرة فوق الله عزَّ وجلَّ، فنقص رتبته وأضعف رتبة نفسه، كل مسلم يعلم قدر خباثة هذا الكفر الملعون. أثبت الشاعر لنفسه الألوهية في هذا المصراع الثاني، ونظراً إليه كان نفى الألوهية الله سبحانه وتعالى في المصراع الأول، فالحاصل أن الذي يقوله الناس الإله ويعترفون بعظمة قدرته ويعتقدون أنه قادر على كل شيء، نحن بالصدق نقول إن هناك شيئاً عجز الله تعالى عنه، واستمر في تسخيره بقدرته لكنه لم يتسلط عليه، فهو ليس بإله لأن الإله لا يكون عاجزاً.

ونحن نسخر ذاك أيضاً أي ما لم يقدر عليه رب الناس، وعجز عنه، وما أمكن له أن يسخره بأي صورة، فنحن الإله لا ذاك العاجز الذي اعتقده الناس إلهاً. والعياذ بالله سبحانه تعالى.

هل يشك مسلم مثقال ذرة في كفر ذاك المصراع، بل يقول كل مسلم لا ريب إن ذاك كفر وقائله وقابله كلاهما كافران.

(٣) مثل ذاك بيت آخر له يقول فيه:

الله موجود في لندن اليوم بدلاً من الكعبة
سنحدث معه عند ما نصل إلى هناك.

ذاك كفر خالص، (١) إن الدين الإسلام يعرف الله عزَّ وجلَّ بأنه منزه عن الجسم والجسمانيات.

(أ) إن المكان مختص بالجسم، والله تعالى منزه عن المكان، لأنه ليس بجسم.

(ب) المكان مخلوق والله خالق.

(ت) المكان حادث والله قديم.

(ج) المكان يحيط بالجسم والله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء، وهو محيط بكل

شيء بعلمه وقدرته، والله بكل شيء محيط.

والشاعر يعتبر لندن مكان الله عزَّ وجلَّ، ويعتبر الله عزَّ وجلَّ مجسماً، ولندن محيطة به، ولذا يقول إن الله في لندن بدل الكعبة، إنه كافر عند المسلمين وعند الله ورسوله عزَّ وجلَّ وصلى الله تعالى عليه وسلم.

مع أن المسلمين يقولون للكعبة المعظمة بل لكل مسجد بيت الله، لأنه مختص بملكه تعالى، لكن الذي يعتبر الكعبة المعظمة مكاناً لله عزَّ وجلَّ، ويعتبر الله سبحانه وتعالى مكيناً له هو كافر عندهم. ومثل ذلك الله تعالى منزّه عن الزمان أيضاً، لأن الزمان أيضاً حادث ومخلوق.

(٢) ومثل ذلك أنه فضّل لندن على الكعبة المعظمة، وأهان الكعبة، ولكن الذي قد أهان الله عزَّ وجلَّ وإهانة شديدة فما يشتكى عنه. ما على مثله يعد الخطاء.

(٣) ومثل ذلك بيته الثالث إلحاد واضح وزندقة صريحة، حاصل ما فيه:

(أ) أن المؤمن والكافر مساويان عنده.

(ب) وأن الله و”رام“ سواء.

(ج) ولا فرق بين الكفر والإسلام.

(د) سواء عليه أن يقول ”رام“ ”رام“ بدلاً أن يقول الله الله، لا فرق بينهما أي

المقصود منهما سواء، والحال أن الله ليس بـ”رام“، و”رام“ ليس بإله.

(هـ) والمشركون يعتقدون أن الإله ذو اختلاط وحلول وسراية في كل شيء،

وبسبب هذه العقيدة الخبيثة يسمون الإله بـ”رام“.

والله تعالى منزّه عن الحلول والخلط، فقول ”رام“ لله عزَّ وجلَّ كفرٌ، وذكر كلمة

الجلالة عبادةً، واعتقاد الكفر عبادةً كفرٌ، وعلى الأقل هبُّ أنه لا يفهم هذا معنى ”رام“،

مع ذلك ليس إلهنا من هو إله مذموم للهنود الأشقياء المحرومين، واعتقده المشركون

إلهم.

(و) انظروا انجذابه إلى المشركين أنه يقول: نقول ”رام“ ”رام“ بدلاً أن نقول

الله الله، وأنه ترك المسلم وأئمة مع معبودهم الحق، واختار المشركين ومعبودهم

الباطل، وهذا الترك والاختيار كلاهما كفران. والعياذ بالله.

يا لها من كلمة سيئة:

إن لم ندرك المولوي فحسبنا المالوي

ونقول ”رام“ ”رام“ بدلاً أن نقول الله الله

فإذا لم يتم له العثور على المولوي، يترك ذلك الشقي إله المولوي، ويختار الضال المالوي طاغوت المشركين، وأخذ يعبد إله الكافر.

التوبة وتجديد الإيمان واجبان على قائل هذه الأبيات، وعلى الذين قالوا إن مفاهيم هذه الأبيات ليست بكفر، وواجب أعظم من كل واجب أن يسلموا من بدء، ويتزوجوا زوجاتهم مرة أخرى إذا وافقن، وإن كان هناك بيعة فلا بد من تجديد البيعة أيضاً، ومثل ذلك عليهم الحج مرة أخرى إن أتموا حجهم، لأن الأعمال تحبط بالكفر، فالحج الأول قد حبط مثل الأعمال الأخرى، والآن عليهم حج آخر لأن وقت افتراضه العمر كله، لذا قد وجب عليهم الآن الحج المفترض مرة أخرى، عليهم أن يتوبوا، ولا يعتذروا إنهم قد كفروا بعد إيمانهم. (ملخصاً)

وقد بحثت في هذه الفتوى عن أسباب الكفر بعمق وعناية وذلك واضح للناظرين، ومع ذلك ذكرت لكل سبب حجة وأظهر حال القائل، إذا نظرت في أسباب الكفر تنظر هذه الأمور التالية:

- (١) نفي القدرة الكاملة لله عزَّ وجلَّ، وإقرار عجزه.
- (٢) بذاك نفي ألوهية الله تعالى، ونفي كونه إلهًا.
- (٣) عد قدرة نفسه زائدة من قدرة الله سبحانه وتعالى.
- (٤) بذاك أثبت الألوهية لنفسه، ولذلك نفي ألوهية الله تعالى من قبل.
- (٥) اعتقاد المكان لله سبحانه وتعالى.
- (٦) والمكان يكون للجسم فاعتقد أنه تعالى جسم.
- (٧) والاعتبار أن لندن محيطه له عزَّ وجلَّ.
- (٨) تفضيل لندن على الكعبة المعظمة، وإهانتها.
- (٩) عدم تسليم التفريق بين المؤمن والكافر.

(١٠) عد "رام" والإله تعالى سواء.

(١١) عدم اعتبار التفريق بين الكفر والإسلام.

(١٢) واعتقاد كلمة الكفر "رام" "رام" وكلمة الإسلام الله الله متساويين.

(١٣) اختار الله تعالى لفظا مشتملا على اعتقاد الحلول والسراية في شيء.

(١٤) ترك المسلمين ومعبودهم.

(١٥) اختيار المبطلين ومعبودهم الباطل.

قد ذكر المفتي الأعظم في الفتوى واضحاً أسباباً صريحة قوية واضحة غير مؤولة كانت موجودة في الأبيات التزاماً ولزوماً، وفصل أحكامها، ولا مجال لإنكار صدق ما ذكر وقوته، وإني أحسب بعد ما ذكرت ألفاظ الفتوى نفسها، وأني أشرتُ إلى ميزاتِها وأن هنا لم تبق حاجة إلى المزيد من التعليقات والبسط والتفصيل لإظهار التفرقة بين الفتاوى الأخرى وهذه الفتوى، ولإظهار عمق النظر للمفتي الأعظم وحسن تفهيمه وتنقيحه وصرحة بيانه وعظمة كلامه وسطوة فتواه.

قد ذكر المفتي الأعظم النصوص الفقهية وفق طلب السائل في ختام هذه الفتوى، وذكر حديثاً وكتب هذا الحكم أيضاً أن إعلان التوبة مثل إعلان الجريمة لازم. فلا تظنوا ولا تفتخروا أن كلمة الكفر قد خرجت مرة واحدة من اللسان أو القلم وأنهم قرؤوا كلمة الإيمان ألف مرة فهل بقي ذاك الكفر إلى الآن؟ فذكر المفتي الأعظم للمذكور العبارة التالية أيضاً من "مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر":

"إن أتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قاله، لأنه بالإتيان بكلمة الشهادة لا يرتفع الكفر" (ج ٢، ص ٣٢٥، كتاب السير والجهاد، باب المرتد، دار إحياء التراث العربي ببيروت)

انتشرت هذه الفتوى المباركة أولاً تحت رعاية حزب الأحناف بـ"لاهور" سنة ١٣٤٤هـ، وثانياً تحت رعاية رضا دار الإشاعة بـ"رجهها" لمديرية "بريلي" سنة ١٤١٠هـ، وفي الصفحة الأولى لها اسم عرفي "سيف الجبار على كفر زمين دار" والاسم الثاني

مشمتمل على التاريخ الهجري "القسورة على ادوار الحمر الكفرة" (١٣٤٣هـ) والاسم الثالث مشتمل على التاريخ الميلادي "ظفر على رمة من كفر" (١٩٢٥ء) ومن بين الرسالة انتقد المفتي الأعظم على الذين يعتبرون في دائرة الإسلام الشخص الذي يدعي كلمة الإسلام ولو يدعي معه النبوة أو يدعم مدعي النبوة، ويعتبره النبي والإمام والقائد، أو يعتبر الكذب لله تعالى ممكناً بل واقعاً أو يشبه علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الحيوانات والبهائم أو يذكر اسم شيخه أشرف علي في الكلمة بدلاً من اسم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو ينكر وجود الجنة والنار والجن والملائكة والمفروضات من الصلاة والصوم وغيرهما أو لا يسلم المفهوم القطعي والإجماعي لختم النبوة ويعتقد بعث نبي جديد جائزاً أو واقعاً أو يرتكب مثل ذلك كفراً من أعظم الكفر أو عدة كفر منه، لكن الإيمان لا يذهب عنه عندهم بعد ما يقرأ الكلمة، ويبقى ذلك الشخص مسلماً صادقاً ومتصلاً.

نعم من يقول كافراً لمرتكب مثل هذه الكفرات الشنيعة والشديدة هو مجرم عندهم، وتحقيره وتذليله داخل في تهذيهم وشرافتهم، ويعدون صبغ صفحات كثيرة على خلافه خدمة عظيمة، ويشعرون بأنه لا عيب في ارتكاب الكفر وقوله وكتابته، إنما العيب في قول الكافر كافراً.

يكتب ردّاً على مثل تلك العقائد الفاسدة:

إن القرآن والحديث يجبران أن في زمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان أناس ينطقون بكلمة الإسلام بل يشهدون في حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رسول الله لازماً بدون شبهة، وبيقون حاضرين أمام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ويصلون خلفه، ويجاهدون معه، مع ذلك حكم الله ورسوله عزّ وجلّ وصلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم خادعون منافقون، ولم يلتفتا إلى ما يفعلونه من تلفظ هذه الكلمة الطيبة وأداء شهادة الرسالة بالتأكيدات العظيمة وأداء الصلوات واشتراك في الجهاد وبذل الدم وأخذه، وجعلا كلّ ذاك هباءً منثوراً.

ثم ذكر المفتي الأعظم الآيات والأحاديث وأوضح بهما المذكور، وكتب في عدة صفحات من التعليق حكم المرتد، وجواباً قوياً ومستحكماً ورائعاً للصرحات على خلافه، وأثبت أن العلماء لا يقولون شيئاً من أنفسهم، إنهم يقولون بالقرآن والحديث، بل لم يمكن للعلماء أن يستخدموا لهؤلاء المتمردين لحضرة الصمد والمسيئين إلى حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسلوب التحقير والتذليل وألقاب الحقارة التي ذكرت في القرآن، لو ذكرها العلماء لا أعرف ماذا سيخرج من الملابس وإلى أي حد يتجاوزون (ليغضبون ويتجاوزون الحدود) فكتب المفتي الأعظم تلك الآيات القرآنية وأظهر تلك الألقاب المذمومة التي ذكرت في القرآن لهؤلاء المنكرين، ثم يقول:

بحمد الله تعالى وصل الكلام إلى منتهاه، وقد ظهر أن الذين يقولون العلماء غير متحضرين ووقحين هم أنفسهم غير متحضرين ووقحون للغاية. وفي الختام ذكر عدة آيات وأحاديث، وأخبر كيف تم توجيه أهل الإيمان للتعامل مع هؤلاء المتمردين والمعتدين، واكتفى على عدة نظراً إلى الاختصار. فالغاية أنه قد ذكر جميع متعلقات هذه القضية نظراً إلى العهد والوضع، وقطع أصول فتن كثيرة وشغبات عديدة، إن يطالع أصحاب العقول هذه الرسالة بالعدل يثبت في قلوبهم خطورة الإسلام والإيمان، وحرمة حضرة الله ورسوله عز وجل وصلى الله تعالى عليه وسلم، وشناعة الكفر وقباحته، وهلاكة الذين يخالفون أحكاماً قطعية لله ورسوله عز وجل وصلى الله تعالى عليه وسلم، ويغادرون عنها، وردالة الجرأة وسوء الأدب في عظمة الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويمكن له النجاة من الفتن والخداع والمكر الجاهلي.

ومن خلال قراءة هذه الرسالة تم العثور على بعض الجوانب الأخرى من علم المفتي الأعظم وحكمته التي قرأتها في فتاوى أخرى له أيضاً، إن شاء الله تعالى أتكلم مفصلاً على ذلك كله في مقال مختص. والآن إنني أحسب أن العنوان الذي اخترته قد خرجت عن عهده إلى حد كبير، إن لم يكن بشكل كامل. وما توفيقى إلا بالله، عليه

توكلت، وإليه أنيب. وصلى الله تعالى على خير خلقه ونور عرشه محمد وعلى آله صحبه
أجمعين وبارك وسلم.

محمد مقبول المصباحي

١٤٤٦/١/١٢ هـ

(Chhatarpur, M.P)

٢٠٢٤/٧/١٩ م

رقم الجوال: ٨٩٥٣٩٢٩٧٩٥

رفيق المجمع الإسلامي بمبارك فور، أعظم جره